سلسلة مشاكل
الصحة النفسية للأطفال وعلاجها

التخريب عند الطفل

أسبابه وطرق علاجه

الكتاب الثامن

تأليف

الدكتور ملاك جرجس
M.SC., M.S.C., PH.,D.,D.A.S



دار اللواء
للنشر والتوزيع

التخريب عند الطفل

أسبابه وطرق علاجه

الطبعة الثانية

١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م

دار اللـــواء

المملكة العربية السعودية - الرياض ١١٤٦١
ص. ب : ٢٨٥٦ شارع الملك فيصل
هاتف : ٤٠٢٨٠٨٤-٤٠٥١٧٥٤ - برقياً : نشر دار

سلسلة مشاكل
الصحة النفسية للأطفال وعلاجها

الكتاب الثامن

التخريب عند الطفل

أسبابه وطرق علاجه

تأليف
الدكتور ملاك جرجس
M.SC.,M.S.C.,PH.,D.,D.A.S
أستاذ كرسي العلوم السلوكية
وأخصائي الأمراض النفسية

دار اللواء
للنشر والتوزيع


بسم الله الرحمن الرحيم

مقـــدِّمَة

ان الطفولة السعيدة تعني شباباً سليماً يتمتع بالصحة النفسية والسعادة . .

لقد مرت الطفولة في الماضي بعصـور أسيئت فيها معاملة الأطفال وأسيىء الظن بطبيعتهم ونواياهم، واعتبرت القسوة والتخويف وسيلة لتربيتهم، وقد ثبت خـطأ ذلك علمياً.

كيف يجب اذن أن يكون سلوكنا نحو طفل يعاني من الخوف وعدم الثقة في النفس كيف نطمئنه ونعالجه؟.

كيف يكـون سلوكنا نحـو عصبية الأطفـال وما هي أسباب عصبية الأطفال؟ كيف نعالجها؟!

ولمـاذا يكذب الأطفـال؟ وهل صحيـح ان الكذب والسرقة والغش كلها صفات تشترك في سلوك واحد هو عدم الأمانة؟!

هل العقاب أجدى وسيلة لتربية الطفل الذي يخاف أو يسرق أو يكذب أو يميل إلى التخريب؟.

كيف نتعامل مع الطفل الذي يميل للتشاجر والعناد والغضب؟ وهل العقاب أجدى وسيلة لعلاج التبول اللاإرادي؟!

ماذا نقول للطفل لو جاء يسأل من أين أتيت؟ كيف يكبر..؟! أين يذهب ما يأكله؟. بماذا نجيبه على أسئلته الكثيرة.. الكثيرة جداً..؟!

ما هي الأسس العلمية التي يجب أن نتبعها لينشأ أبناؤنا في البلاد العربية على درجة معقولة من الصحة النفسية؟.

هذه السلسلة من كتب مشاكل الصحة النفسية للأطفال، تحاول أن تجيب على هذه الأسئلة وغيرها، وتوضح ما يجب أن يتعلمه الآباء حتى لا يكونوا السبب الرئيسي في مرض أبنائهم بالأمراض النفسية والعقلية، نقدمها للمواطنين، راجين أن يستفيدوا منها لنقدم لأمتنا العربية جيلاً جديداً يحقق آمالنا في فلذات اكبادنا.

التخريب عند الأطفال

أسبابه وطرقَ علاجه

هل ميول الأطفال إلى اتلاف الأشياء وتخريبها ميول شريرة. ؟

هل كل الأطفال عندهم هذه الميول بدرجة واحدة. ؟

لماذا يلجأ الأطفال إلى قلب نظام المنزل رأساً على عقب. ؟

فكلما امتدت أيديهم إلى دولاب أو دخلوا حجرة من الحجرات عبثوا بمحتوياتها وأفسدوا بعضها.

لماذا يلجأ بعض الأطفال إلى خلع أغلفة الكتب عنها وتمزيقها؟ ولماذا يخلط الأطفال الألوان خلطاً لا فائدة منه؟ ولماذا يشوهون مكعبات البناء ويتلفون لعبهم؟

هل من الواجب وضع حد لهذه الميول الشريرة في

الطفل بمجرد ظهورها، وهل هي فعلاً شريرة؟ هل من المستحسن أن نبعد الطفل عن محتويات المنزل فنغلق جميع الحجرات ونمنعه من دخولها ولا نسمح له إلا بالتواجد في المكان المخصص له؟

هل من الواجب أن نشتري للطفل اللعب ثم نحفظها له حتى يكبر ويمكنه المحافظة عليها.؟

هل كل اتلاف تخريب

إن الله خلق فينا حب الاستطلاع والميل إلى الحل والتركيب كوسيلة للتعرف على الحياة التي حولنا، وهذه الميول تكون على أشدها عند الطفل الحديث العهد بدنياه فيندفع بطريقة فطرية لا شعورية للتعرف على ما حوله، فيقلد الغير فيما يعملون ويجرب ويستكشف ويسأل من حوله من الكبار، وكل ذلك بهدف الشعور بالأمن والطمأنينة في عالم جديد لم يعهده من قبل، وأول ما يتعامل معه الطفل في دنياه هو الأشياء المادية المحسوسة فيلمسها ويتفحصها ويفكها إن أمكن له ذلك، أو يقسمها إلى أجزاء ليتعرف عليها... أو قد يقذف بها الأرض، أو يضربها في الأرض بهدف التعرف لما قد يحدث لها، وهو بذلك يقوم بتجارب مثله في ذلك مثل العالم الذي

يقوم بتجارب مختلفة مع مادة مكتشفة حديثاً، أو كالطبيب الذي يكتشف ميكروباً جديداً فيجري عليه التجارب.

وبذلك فالطفل أثناء تجاربه الطفلية مع ما حوله من المحسوسات قد يتلفها أو يخربها أو قد يضر بنفسه فيجرح اصبعه أو يصيب أي عضو من أعضاء جسمه، وهو بذلك لا يقصد الاتلاف أو التخريب ولكنه يقصد التجريب، بهدف التعرف على الحياة وأسرارها، ذلك التعرف الذي يشكل شخصيته وينميها، فعن طريق الاتلاف والتخريب والعمل والتعامل مع المحسوسات يدرك الطفل الأوزان والحرارة والبرودة، كما يدرك المسافات والألوان وطعم الأشياء والمأكولات، وشكل المحسوسات ومحتوياتها، ومكنوناتها، وهو في ذلك لا يختلف عن العالم في معمله، فمعمل الطفل هو كل ما حوله، وهو يشتق لذة وسعادة من اكتشافاته، كما يشتق العالم اللذة والسعادة من نتائج أبحاثه وتجاربه، ومعنى ذلك أن ما نسميه اتلافاً أو تخريباً في الطفولة الأولى، أو ما يسميه البعض بلعب أطفال، هو في الواقع نشاط ضروري لنمو شخصية الطفل وليست ميولاً شريرة، كما قد يظن البعض.

إن التعرف الحسي للطفل لما حوله، والتجارب الشخصية التي يجريها بنفسه والتي قد نسميها تخريباً هي

الأسلوب الأساسي الذي يتعرف به الطفل على دنياه الجديدة، وعن طريق هذه التجارب يدرك الفروق بين الأشياء وصفاتها، وبذلك يكتسب كثيراً من الخبرات اللازمة لاستمرار الحياة.

ان الطفل يولد بدافع شديد لحب الاستطلاع يجعل عقله وحواسه تتعطش لكسب الخبرة وهضمها، تماماً كما يحتاج جسمه للغذاء وإلى هضمه، لذلك يجب ألا ننظر إلى مشكلة الاتلاف أو التخريب الذي يلجأ إليه صغار الأطفال(٢ ـ ٥سنوات)على أنها مقصودة أو ناتجة عن عناد أو حب للعبث.

الكبار يعجزون عن فهم الصغار ويعاقبونهم خطأ

كثيراً ما يعاقب الآباء والمربون الأطفال على عبثهم أو تخريبهم لما حولهم، أو لاتلاف بعض محتويات المنزل بالماء أو لبلل ملابسهم به، أو للعبهم بالنار، إلى غير ذلك من أعمال الأطفال التي سنورد لها أمثلة مفصلة فيما يلي، وواقع الأمر أن الأطفال يلجأون إلى هذا السلوك لاشباع حاجات النمو العقلي التي تدفعهم إلى فحص وتحسس ما حولهم، مما يجعل الطفل يشعر بالدهشة لعقابه على

نشاطه وينتهي به الأمر منذ نعومة أظفاره إلى الشعور بأنه يعيش في عالم ظالم، يعاقبه على الأعمال التي يستمد منها اللذة وتربطه بالعالم الخارجي الذي يحيط به، فيؤدي العقاب إلى حذر الطفل عند ممارسته دوافع ونزعات حب الاستطلاع، ولا يمنعه عن سلوك التجريب والفحص، ولكنه يمارس حب الاستطلاع في شيء من الحذر والخوف مما يؤدي به إلى الرعونة والتستر، فيتلف ما يفحصه أو يكره بأسرع مما كان قد يحدث لو أنه فحصه أو عبث به وهو ليس خائفاً، كما أنه يلجأ إلى الكذب إذا سئل عمن عبث به، وذلك لخوفه نتيجة عقاب الوالدين أو المربين له، أن العقاب والخوف لا يمكن أن يمنعا الطفل من البحث والتجريب، ذلك السلوك الذي نسميه خطأ في الطفولة الأولى بالتخريب، وفيما يلي أمثلة لسلوك الأطفال الذي يساعدهم على التعرف بما حولهم من حياة.

اللعب بالماء والعبث به:

لعل أهم ما يتعلمه الطفل في السنة الأولى هو لمس وادراك الأشياء التي حوله، فإذا قدمنا له اصبعنا أمسك به وإذا قدمنا له زجاجة لبن أو كرة أو لعبة أمسك بها ووضعها في فمه، أي أنه يتعرف على المحسوسات التي تصل إليه بيديه وبفمه، فيدرك أن هذه المحسوسات لها حجم ووزن

وخواص، فيدركها كنتيجة لتكرار تعامله وتجاربه معها.

ولكن سرعان ما يكبر ويصبح في سن الثانية أو أقل بقليل، أو حتى الثالثة فإنه يميل إلى اللعب بالماء فإذا نجح وأمكنه الوصول إلى صنبور المياه أو إناء به ماء.. فإنه يجد لذة كبيرة في اللعب بالماء، فالماء لا يستقر في يده كما تستقر الأشياء الصلبة كاللعبة أو الكرة أو زجاجة اللبن أو كالبرتقالة، وهذه خبرة جديدة يشتق منها لذة وسعادة، خبرة اكتشاف جديد، لذلك فهو يهوى اللعب بالماء يحركه إذا وجده في إناء ويحاول أن يمسك به إذا أمكنه الوصول إلى صنبور الماء، ولكنه لا يتمكن من الامساك بالماء، فيتعلم الفرق بين الأشياء الصلبة والسائلة، وهو بذلك يلقن نفسه أولاً بأول دروساً في الطبيعة والحياة.

ثم قد يحدث أن يسافر الطفل مع والديه في الصيف إلى البحر فيلعب بالرمال والماء ويتعلم أن خلط الرمل بالماء يساعده على تكوين أشكال مختلفة، ويدرك أن الماء يساعد على تكوين عجينة إذا خلطت به المسحوقات، كما يتعلم أن الرمل مسامي سرعان ما يهرب منه الماء.

كثيراً ما نرى الأطفال يلعبون بالماء والصابون

مستخدمين في ذلك أنبوبة مفتوحة لأحداث فقاقيع صغيرة وكبيـرة تطير في الهواء وهم في غاية السرور والفرح، لما أنتجوه، بل قد يباهي الطفل بما أنتجه وينادي على من حوله من كبار أو صغار ليروا ما اختـرعه وأنتجـه أو ما اكتشفه.

إن نزول الماء من الصنبور وعدم استقراره في اليد، وتحويل المسحوقات إلى عيجنـة وتكوينـه للفقاقيـع مع الصـابون، إلى غيـر ذلك من المـلاحـظات والخبـرات الجديدة، ليس القصد منها الاتـلاف أو التخريب عنـد الأطفال بل أنهم يجدون لذة وسعادة كبيـرة تدفعهم إلى حب الاستطلاع، وهو ضـروري لاشباع الحـاجة للنمـو العقلي والنفسي.

العبث بالأشيـاء الثمينـة:

منذ أن يبدأ الطفل يحبو وحتى سن العاشرة أو الثانية عشر أحياناً يحاول جاهداً أن يتعرف على ما حوله، وأول ما يستكشفه هو العالم القريب منه، ما حوله من أثاث وجدران، فيعبث بأواني الـزهور وقـد يكسرهـا، ويعبث بجدران المنزل فيخطط بما يصل ليده من أقلام أو ألوان وقد يعثر على ساعة والده فيحطمها، وقد تصل يداه إلى

المقص في المنزل فيقص به الملابس أو مفارش ثمينة أو كتباً نادرة. وهذا لا يمكن أن يسمى تخريباً مقصوداً لذاته، ولكنه نشاط طبيعي.

فالطفل يرى والده ووالدته يحمل كل منهما جسماً مستديراً يداعبانه به من وقت لآخر فيسمعاه صوت دقات صادرة منه، ولا يتاح له فرصة اختباره والتعرف عليه إلا لحظات محدودة تحت الاشراف ونهي والده أو والدته، وهما لا يعلمان أنهما لفتا نظره للساعة واستثارا فيه حب الاستطلاع نحوها، ولم يشبعا فيه هذا الدافع، فيتعطش للامساك بها وفحصها فإذا ما أتيحت له الفرصة أن تصل يداه إليها لا يتردد في الامساك بها، بل قد يلاحظ والده ويراقبه ليعرف أين يضع ساعته ويصل إليها، واتماماً لتجاربه فإنه يفحصها وقد يقذف بها الأرض تماماً كما يعمل مع الكرة، ليرى هل تعود إليه كما تعود الكرة عندما يضربها في الأرض.. ولكن الساعة تتهشم وقد تتحطم أجزاء فيفرح الطفل فرحاً شديداً لنجاح التجربة، فقد حول الشيء الواحد إلى جزئين أو ثلاثة، ولكنه للأسف يقابل من والده بالعقاب، مما يثير دهشته ويشعره بالظلم، ما الفرق بين الساعة والكرة؟ لا فرق بينهما عند الطفل.

لقد كان ابني وهو في سن الثانية والنصف يمسك

أحياناً بزهرية ويضربها في الأرض فتنكسر فكـان يصيح فرحاً «أربعة» وكان قـد تعلم ١ ـ ٢ـ ٣ـ ٤ـ ، ومصدر فرحته أنه حول الشيء الواحد إلى أربعة، ان الطفل لا يفهم قيمة الأشياء وطبيعتها فيتلفها أو يكسرها دون قصد، كل هدفه من لمس الأشياء والعبث بها أو اللعب بها، هو التعرف عليها بطريقة تجريبية حسية، ومما يساعد الأطفال على اتلاف ما حولهم بدافع حب الاستطلاع أن الطفل عادة لا يكون قد اكتمل نموه فتسقط منه الأشياء عندما يحاول الامساك بها، كما أنه قد يكون متسرعاً في الامساك بها بدافع الخوف نتيجـة لسوء معـاملة الوالـدين له في مـواقف سابقـة مماثلة ممـا يؤدي أيضاً إلى سقوطهـا منـه وكسرها.

أما عبث الأطفال بجدران الشقق التي يسكنوها فهو أمر شائع، فالطفل الذي يرى والده أو والدتـه أو أخاه يجلس على مكتب ويكتب فيترك آثاراً على الورق الأبيض تشتاق نفسه لاجراء نفس التجربة، فقد تصل يداه إلى قلم فيعبث به فيما تصل يداه من كتب أو دفاتر ومستندات أو قد يجربه على الحائط، أنه في الواقع يقوم بتجربته تماماً كما يفعل الكبار، ويفخر بما خططه على الحائط أو الكتب وهو لا يعني بذلك أن يتلف الحيطان والكتب في مكتب والده أو أخيه.

هذا كما أن الطفل الذي يستعمل المقص فيتلف فراشه أو الستائر أو الكتب أو أي شيء بالمنزل إنما هو يجرب تماماً كما تفعل أمه، ذلك لأن عملية القص تستهويه لدرجة كبيرة، بل إنها جذابة مشوقة، كيف يمكن تحريك اليد بهذا المقص فتنفصل الأوراق أو الأقمشة، إنها بالنسبة للطفل خبرة جديدة، لا يقصد منها الاتلاف أو التخريب.

ولا يختلف المقص أو الساعة، عند الأطفال عن الراديو أو التليفزيون أو التليفون فمن الممكن أن يعبث بها وذلك أيضاً للتعرف عليها وليس للتخريب كما يظن الكبار، كم من مرة نسمع فيها من الكبار أن هذا الطفل أو ذاك طفل مخرب، في حين أن ما نسميه تخريباً هو في الواقع نشاط طبيعي للطفل يدفعه إليه حب الاستطلاع والميل إلى الحل والتركيب لاشباع هذا الدافع، والاتلاف يحدث عادة نتيجة عدم خبرة الطفل بفحصه، ولعدم ادراكه لها وأحياناً لعدم توافقه العضلي بحيث تفلت منه الأشياء عند امساكه بها.

اشباع الحاجات النفسية للأطفال

ماذا يجب عمله لتفادي الاتلاف

لذلك يجب على الآباء اعطاء الطفل فرصاً للتعرف على ما حوله تحت اشرافهم، بحيث لا يضر الطفل بنفسه أو بما يحرصون على حمايته من الطفل.

فلا مانع مثلاً من أن نتيح الفرصة للطفل للعب بالماء تحت اشرافنا حتى يتعرف عليه بل يجب أن نشجعه على أن يسأل الأسئلة لنشبع فيه حب الاستطلاع بالنسبة لها، وللسوائل كلها، وبذلك تكون فرصة لتعليم الطفل وتثقيفه عامة، كما يجب أن ننتهز الفرصة من وجودنا في المصايف ليشبع الطفل حاجته النفسية للعب بالماء والرمال. . . دون أن يضر بنفسه. كثيراً من الاباء يمنعون الأطفال من اللعب بالماء حتى لا يبللوا ملابسهم، وهذا المنع لا يخمد في الطفل تعطشه للخبرة والاستطلاع والرغبة في البحث والتجربة.

كذلك يجب أن نسمح للطفل باستعمال المقص تحت

ارشادنا فنقدم له المقص وورق الجرائد أو قطعة من القماش ونعلمه كيف يقص بحيث لا يجرب فيما نحرص على عدم اتلافه وبحيث لا يضر بنفسه فيجرح أصابعه.

هذا كما يجب أن نقفل الأدراج التي لا نريد أن يعبث بها الطفل كما يجب أن نخفي في أماكن مغلقة كل ما نخشى عليه من الطفل أو نخشى أن يصيب الطفل بضرر، وذلك حتى يكبر الطفل ويدرك حقيقة هذه الأشياء وقيمتها.

هذا كما يجب أن نمد الطفل باللعب التي يمكنه أن يقوم بحلها وتركيبها لأن هذه الدوافع ملحة في التطور النفسي والعقلي لكل الأطفال ولا نغضب إذا أتلفها، في الواقع أن كل طفل خلقه الله بطاقة زائدة ليتحرك كثيراً ويتعامل مع كل ما حوله في الحياة وليتعرف على دنياه، تلك الدنيا الكبيرة الواسعة، التي لا يعرف عنها شيئاً، و... ويعرف الكبار عنها كل شيء كما يتصور.

وللأسف أن المدنية الحديثة جعلت العائلة تعيش في مساحة ضيقة في المدينة، فهي تعيش في حجرتين أو ثلاث، وممنوع على الطفل أن يلمس أغلب ما فيها، كما أن انشغال الأب والأم بعملهما جعل الطفل يقضي أغلب طفولته في الشقة لا يرى زرعاً أو طيوراً، كما أنه ممنوع من الاختلاط بمن هم في سنه من الأطفال إلا في

المدرسة التي لا يذهب إليها عادة إلا بعد سن الخامسة.

يجب أن يخصص للطفل ولو ركنا في المنزل، يجب أن نمده باللعب والمجلات والجرائد والمقص والصلصال والصور والصناديق الشخبية الصغيرة وبالماء ويجب أن تكون له سبورة وطباشير، ويجب أن تتاح له فرصة اللعب في ملعب أو ناد، لذلك كان أوجب واجبات الدولة انشاء نواد للأطفال وقصور للثقافة، كما يجب أن تلعب المدرسة دوراً يعوض الطفل عما فقده في البيئة المنزلية، كما يجب أن تتاح لكل طفل فرصة دخول روضة الأطفال في الثانية أو بعدها بقليل حتى نضمن للأطفال النمو العقلي السليم.

بعض الأطفــال مخربون فعلاً ولكن ! . . . .

إذا ما كبــر الطفل وكانت تصرفاته من حيث الاتلاف تزيد عن تصرفات أقرانه بشكل مبالغ فيه، فقد نسمى هذا الطفل مخـرباً، ولكن لمـاذا يلجـأ بعض الأطفـال إلى المبالغة في التخريب والاتلاف؟....

إن الأسباب عادة تكون أحد أو أكثر من أحد الأسباب الآتيــة :

١ ـ النمو الجسمي والنشاط الزائد مع الحياة حياة مغلقة مملة ليس بها نشاط يستنفذ النشاط الزائد عند الطفل.

٢ ـ اضطراب الغدة الدرقية بحيث يزيد افرازها فيصبح الطفل متوتراً، دائم الحركة لا يمكنه أن يستقر في مكان ما ولا بد أن يجد ما تعبث به يداه.

٣ ـ النمو الجسمي الزائد مع انخفاض مستوى الذكاء، بحيث لا يتمكن لضعف عقله من استغلال نشاطه الجسمي فيما يعود عليه بالفائدة ويحول دونه والتخريب.

٤ ـ اضطرابات الغدد بحيث تؤثر على التآذر العضلي والتناسق الحركي وقد يحدث ذلك بعض الشبان أثناء فترة المراهقة فيكسرون ما يقع في أيديهم نتيجة رعونة فترة المراهقة وزيادة افرازات الغدد.

٥ ـ قد يكون التخريب للاضطراب النفسي أو المرض النفسي أو للشعور بالنقص أو الظلم فيلجأ الطفل إلى الانتقام أو كسر ما يقع تحت يديه وذلك بأسلوب لا شعوري، فيشعره باللذة والنشوة لانتقامه ممن حوله.

٦ ـ قد يلجأ الطفل إلى اثبات وجوده والسيطرة على البيئة بالتخريب، كنتيجة للشعور بالنقص أو كنتيجة للتدليل الشديد.

٧ ـ قد يلجأ الطفل أو الشاب إلى تخريب ممتلكاته، كتمزيق الكتب أو اتلاف ملابسه التي يذهب بها إلى

المدرسة وذلك إما لأنه غير موفق في دراسته ويشعر بـالذنب أو لأنـه يرغب في الانتقـام من والديـه أو لكراهيته للسلطة، ونجد كثيراً من هذه الحالات في الأسر التي بها طلاق أو بها زواج للأب من غير الأم والمعيشة مع زوجة الأب.

والتخريب بدافع الانتقام يشعر الفرد باللذة والارتياح، تماماً كما يشعر الطفل الذي يخرب بدافع حب الاستطلاع واللعب لكسب المهارات والتعرف على الحياة، فكلاهما ينقص التوتر النفسي والجسمي معاً، ولكن الأول أسلوب طبيعي بناء والثاني الذي للانتقام مرضى هدام.

هذا كما أن التخـريب والاتلاف لكسب المهـارات يكون عرضياً ويختفي كلما كبـر الطفـل، أما التخـريب المرضى فقد يستمر كعرض من أعراض المرض النفسي، وتكون دوافعه عادة لا شعورية. وفي ضوء دراسة الدوافع للتخريب والاتلاف ووظيفتها في كل حالة، يمكن العلاج فإن كانت الأسباب عضوية فيجب علاجها واستنفاذ الطاقة الزائدة عند الطفل في نشاط بناء، أما إذا كانت نفسية فيجب دراستها وعلاجها، كما يجب أن يدرك الآباء حقيقة الدوافع الطبيعية عند الأطفال وحبهم للاستطلاع والتخريب وأن محاولة الآباء كبت الأبناء وجعلهم هـادئين ساكنين

قليلي الحركة أسلوب غير تربوي يقتل فيهم روح التعرف على الحيـاة ولا يحول بينهم وبين محـاولة الاستـطلاع واللعب والتخريب الحسي بل يخلق منهم أطفالاً يعانون من الخوف ويشعرون بقسوة الحياة وظلم الكبار، ويلجأون إلى القيام بأغلب أنشطتهم في الحياة سراً بعيداً عن أعين الكبـــار.

بعض النصائح بالنسبـة للعب الأطفـال:

إن خير اللعب التي يمكن أن تساعد الأطفال على اشباع الحاجة إلى الاستطلاع والمعرفة هي لعب الحل والتركيب، على شرط أن تكون مناسبة لسن الطفل، أما اللعب الميكانيكية ومنها العربات والسيارات وغيرها فهي لا تسمح للطفل باشباع حاجته إلى الاستطلاع والمعرفة إلا إذا خربها وفكها إلى أجزاء صغيرة لذلك يجب أن تتوفر في اللعبة أن تتيح للطفل الحركة والحل والتركيب كلما أمكن.

دراسات لبعض حالات الاتلاف والتخريب
من العيادة النفسية

الحالــة رقم (١) :

طفلة في الخامسة والنصف من عمرها حضرت للعيادة النفسية مع والدتها، قالت الأم ابنتي كان عنـدها لعب عديدة وأربع عرائس، ولكن تخربها عن قصد ولكنها تفك كل لعبة إلى أجزاء صغيرة، والعرائس تخلع ملابسها ثم تخلع أيديها وأرجلها وتحاول مرة أخرى تركيبها كما أنها تحاول تجميع أجزاء كل لعبة وتعيدها كما كانت ثانيـة وعندما تفشل تبكي أحياناً، وعلى هذه الطريقة لا تترك لنفسها لعبة واحدة سليمة، وعندنا بالمنزل كوم كبير من بقايا اللعب، ثم تلح في شراء لعب جديدة وتقول ليس عندي ما ألعب به، كما أنها تعبث بمحتويات دولابها رغم أني أبذل جهداً كل يومين في ترتيبه وأخيراً عندما أحجمت عن شراء لعب جديدة لها بـدأت تحاول أن تفـك أكر

وأقفال أبواب الفيلا، فجرحت الأبواب ولم تتمكن من فك شيء منها».

وسألت الأم : كيف أعاملها. . . وهل اشتري لها لعباً جديدة . ؟

وفي العيادة النفسية تبين من اختبارات الذكاء أن الطفلة على درجة كبيرة من الذكاء وأنها على درجة معقولة من التكيف النفسي والأتزان العقلي وأنها تعيش في جو به درجة كبيرة من الدفء العاطفي، وعندما سألت الطفلة لماذا تكسر لعبها؟، قالت أنا لا أكسرها إنما أحاول أفكها وأعيد تركيبها ثانية فلا أنجح في أعادة تركيبها. والطفلة وحيدة والأب من كبار الأطباء بعيد عن المنزل معظم ساعات النهار ويعود في ساعة متأخرة من الليل، أي بعد أن تكون الطفلة قد نامت، والأم أيضاً تعمل حتى الساعة الثالثة بعد الظهر وتعود للمنزل مجهدة ثم تستقبل ضيوفاً بعد الظهر أو تخرج لشراء ما تحتاجه من السوق، والذي يعني بتربية الطفلة الدادة، تحت أشراف الجدة، وقد أمكن تفسير الحالة بالآتي :

«الطفلة رغم أن الأب والأم يحبانها حباً شديداً ورغم أن العلاقة طيبة للغاية بين الأبوين. . . فإن الطفلة لا تشعر بحبهما لبعدهما عنها أغلب الوقت، وقد حاول الأبوان

تغطية هذا النقص باغراقها باللعب، وقد فسرت الأم تكسير البنت للعبها على أنه يرجع إلى أنه عندها لعب كثيـرة، ولكن الواقع أن الطفلة تنفس عن صعوبات نفسية تنفس بها لحرمانها من أبويها، هـذا كما أنهـا في سن يتميز بالدافع الشديد إلى الاستطلاع والتجريب واكتشاف كل ما هو حولها، فالطفلة تعاني من نضال نفسي عميق، وتوتر نفسي وجسمي تحاول أن تتخلص منه بالتخريب فتشعر بالراحة النفسية، كما تشعر بـاللذة نتيجة اشبـاع شغفها بمعرفة مكونات هذه اللعبة، وقد كانت الأم دائمة التوبيخ للطفلة فنصحت بعـدم توبيخهـا ومحاولـة اصلاح بعض اللعب وأهدائها لأطفال في سنها خصـوصاً ممن ليست عندهم لعب كثيرة كمـا نصحت الأم والأب بعدم تـرك الـطفلة كلية للدادة والجـدة وتقضية بعض الـوقت معها والاهتمام بكل ما تعمله وتشجيعها على تصليـح اللعب التي خربت وذكر ذلك أما الضيوف لتفاخر بقدرتها على تصليح اللعب، والمحافـظة عليها، والقـدرة على تنظيم حجرتها، وقد نجحت هذه الوسيلة في وضع حد لتخريب الطفلة للعبها.

الحالـــة رقم (٢) :

طفـل عمره ٤ سنوات ونصف، لجأ مرتين إلى قص

شعر أخته التي تصغره بعام واحد كما كان دائم الكتابة على حجرات المنزل، وكان دائماً ينكر أنه أتى هذه الأعمال، ولكن بعد الملاينة والتحايل كان يعترف، وكانت الأم في كل مرة يسلك مثل هذا السلوك تضربه ضرباً شديداً أو تحرمه من الخروج من المنزل يوماً أو يومين، وقد أثر فيه هذا العقاب فكان يقلع عن سلوكه، ولكن لا يمر أسبوع إلا ويعود ثانية لمثل هذا السلوك ولأسوأ منه، وقد وصفته الأم بأنه طفل عصبي متوتر دائماً، خواف، كثير العناد والاعتداء على أخته ويميل ميلاً شديداً للتخريب.

والواقع أن سبب عدم تكيف هذا الطفل وسلوكه يرجع إلى الأسلوب الخاطىء الذي تتبعه معه الأم فقد تبين أن الأم تؤمن بتربية الطفل (بقضيب من حديد) ولذلك كانت فظة وقاسية معه ومع أخته، والواقع أن الأم كانت تعاني الكثير من القلق النفسي والشعور بالنقص وكانت حريصة لدرجة مبالغ فيها أن ينشأ أولادها نشأة صالحة، وكانت تعتقد أن أسلوب الحزم والشدة والقسوة هو الأسلوب الصحيح.

ولم تكن الأم تدرك أن الأطفال في صغرهم بل في كبرهم يميلون إلى التخريب ليس لأنهم مخربون، ولكن

لأنهم متعطشون لكسب الخبرة مدفوعين بحب استطلاع طبيعي يدفعهم إلى التخريب وتحسس ما حولهم في البيئة ولم تكن الأم تدرك أن منع الطفل من اشباع هذه الميول الطبيعية وعدم مساعدته بطريقة تحول دون تخريب ما حوله، لا يحقق نضوجه النضوج السليم ولا يساعد على نمو عقليته.

إن الطفل الذي يقص شعر أخته أو أخيه، والذي يكتب على جدران المنزل، في الواقع يفعل ذلك لافتقاره إلى وسائل أفضل تساعده على التجريب السليم، فمجرد أن اكتشفت الأم ذلك كان يمكنها بأسلوب كله عطف وحب أن تنهيه وتقدم له مقصاً ومجموعة من ورق الجرائد وتعلمه كيف يقص الورق وتغريه بأن يقص الصور الموجودة في الجرائد مثلاً، كما كان يجب أن تقدم له سبورة وطباشير ليكتب عليها، بدلاً من الكتابة على جدران المنزل وتستمليه لأن يحافظ على منزله نظيفاً وجميلاً، هذا كما يجب أن نساعد الطفل دائماً كي شغل وقته أما في ألعاب مسلية تزيد من خبرته، أو في ناد مع زملاء أو أقران في سنه، أو في مساعدة الأم في الأعمال المنزلية بحيث يستنفذ طاقته الزائدة في عمل نافع ويساعده على اكتساب الخبرات التي تشبع فيه حب الاستطلاع.

إن العقاب ليس وسيلة لوضع حب للتخريب بل قد يكـون دافعاً لـزيادة الاتـلاف والتخـريب، إن استعمـال الأسلوب العلمي في اشبـاع حاجـات الطفـل للمعـرفـة واستنفاذ الطاقة الزائدة عنده والنشاط بأسلوب نافع هما الطريق السليم لوضع حد للتخريب ولاكساب المعرفة.

الحالـــة رقم (٣) :

أم لها ولدان سنهما ١٢ و١٠ وابنة صغيرة عمرها ٤ سنوات، شكت من أن ابنتها تعمد إلى تخريب ألعاب وأدوات أخويها، وانهـا لا تكف عن طلب شراء أشيـاء جديدة لها . . . فيوماً تطلب شراء خاتم، ومتى نشتري لها الخاتم تطلب شراء آخر فصه له لون مخالف لما اشترته، وإذا رأت طفلة تلبس فستاناً أو طفلاً يلبس حلة أصرت على أن تشتري لها فستان جديد رغم أنها عندها الكثير من الملابس، وأخيراً رأت خـالتها تنظم بعض الخـرز لتصنع لابنتها عقداً فأصرت أن اشترى لها خرزاً لتصنع منه عقداً لنفسها بنفسها. وفعلاً اشتريت مجموعة من الخرز ووضعتها في صندوق وأعطتها لها بأمل أن تنشغل في نظم حبات الخرز وقد علمتها كيف تفعل ذلك. ولكن سرعان ما كانت تتعمد رمي حبات الخـرز في أرض الحجرة. فتعاني الأم التعب في جمعه ثانية. . . وهكذا «إلى أن

مللنا طلباتها المتكررة والتي لا تنقطع وتخريبها لممتلكات أخويها. . . مما يسبب لنا الكثير من الصراع بين الثلاثة ويسبب لها الكثير من اعتداء أخويها عليها بالضرب».

وبدراسة حالة هذه الطفلة تبين أن ذكاءها عال وأنها في أتم صحة بدنية، إلا أنها تمر بحالة نفسية وعصبية، وقد حاولت الدراسة أن تجعلها تفصح عن الأسباب التي تجعلها تفعل ما تفعله. . . فتبين أن الطفلة غاضبة وغير مرتاحة لأسلوب تعامل الأم والأب معها بالمقارنة لأسلوبهما مع أخويها.

فأخواها مسموح لهما باللعب والخروج خارج المنزل والذهاب إلى أصدقائهما وإلى النادي بمفردهما ولكنه ممنوع عليها مصاحبتهما، والأم ليس لديها الوقت لاستصحابها، بل إنها لا توافق على خروجها مع الدادة لأن الدادة كبيرة في السن وضعيفة النظر، كما تبين أن الأبوان يعلقان أهمية كبيرة على مظهر ولديهما فيشتريان لهما الكثير من الملابس واللعب ويعتقدان أن البنت لا زالت صغيرة. . . كما أن الولدين يذهبان إلى المدرسة وهي لم تدخلها بعد. وبذلك يمكن أن تقرر بأن أسلوب التخريب الذي سلكته الطفلة هو أسلوب تحد للأم

والأب واحتجاج على أسلوب معاملتها بالمقارنة بأخويها، أما بالنسبة لرمي الخرز على الأرض فقد يكون منظر حبات الخرز على الأرض وصوت ارتطامها على الخشب يدخلان السرور في قلب الطفلة.. هذا كما أن نظم الخرز يحتاج إلى صبر ومشقة لا تقوى عليها طفلة في سنها.

وقد انحصر العلاج في تغير أسلوب الأبوين في معاملة الطفلة والسماح لها أما بالخروج مع أخويها للنادي أو لزيارة الأقارب أو مع الأم أو الأب.... وبالنسبة لنظم الخرز الذي كانت تلعب به من وقت لآخر... فقد طلب من الأم أن تسمح للطفلة برميه إذا شاءت واللعب به كيفما تشاء بشرط أن تقوم هي بنفسها بعملية جمع الحبات من فوق الأرض، مع مرافقتها في اللعب به ورميه على الأرض... وذلك لتشعر الطفلة بأن الأم تشاركها في لعبها ونشاطها وأنها لا تنظر إلى ما تقوم به الطفلة على أنه «تخريب» أو شقاوة... ودون أن تبدي الأم أو أحد بالمنزل امتعاضاً أو احتجاجاً على ما تقوم به الطفلة.

وقد أدى تقرب أخويها إليها وخروجها معهما من وقت إلى آخر إلى وضع حد لاعتدائها على ممتلكاتهم من لعب أو كتب أو خلافه.

الحالة رقم (٤) :

طفل عمره سنتان ونصف السنة يرمي كل ما تصل إليه يداه في أي مكان وفي أي وقت.. فهو يرمي اللعب والملاعق والشوك وبعض ملابسه إذا وصلت إليها يداه، كما يرمي بعض أدوات المطبخ وبعض محتويات البيت من الأشياء الصغيرة، وكثيراً ما يحدث ذلك دون أن يراه أحد... وتخشى العائلة أن يعرض أحد في الطريق لأخطار ما يلقيه من سطح المنزل، كما أن القاءه للأشياء خسارة كبيرة، وطلبت الأم النصح بشأن ابنها.

وبدراسة الحالة تبين أن الطفل طبيعي ككل الأطفال ويتمتع بصحة جيدة، وأنه عندما كان سنه، سنة ونصف كان يجد لذة كبيرة في رمي لعبه أو ملعقته على الأرض ويكرر ذلك ما دام يجد أحداً ممن حوله يعيدها إليه من الأرض، وقالت الأم أن أسلوب لعب الأسرة معه أحياناً كان أن تقدم له شيئاً ليرميه ثم يعيده إليه ثانية ليرميه، وكان يصرخ أن لم نعطيه له... وقد أفهمت الأم أن هذا الأسلوب في اللعب في الطفولة، وسلوك الطفل أسلوب طبيعي لا شذوذ فيه... وإنه ليس سبب رميه للأشياء الآن من الشباك أو البلكون، أو من فوق سطوح المنزل.. وإن ما كان الطفل يعمله في سن سنة ونصف ما هو إلا تجارب

واختبارات يشعر منها بقدرة وقوة عضلاته الصغيرة ونجاحه في الحركة. . . كما أنه خلال هذا اللعب كان يحاول أن يستكشف كيف تقع الأشياء، وكيف يحدث ما يحدث، وكيف يحدث الصوت الذي يسمعه؟. . . . وقد قوى اللعب فيه روح التجربة ومحاولاتها، كما أن لعب الكبار معه ساعده وشجعه على أن يكرر ويكرر رمي الأشياء. . . إن رمي الأشياء بالنسبة للأطفال قد يستمر معهم حتى بعد سن الرابعة، ولا شذوذ في ذلك ما دام يتم داخل المنزل، وكأسلوب للعب مع الأم أو الأب أو الأخوة.

أما بالنسبة لرميه الأشياء من الشباك أو البلكونة فهو فعلاً مشكلة. . . ويجب أن تتفاهم معه وتتفق معه على أن الرمي شيء جميل يدخل عليه السرور، ونعطيه الفرصة لرميه أشياء محددة. ولكن على شرط أن يرميها في أوقات محددة بوجودنا وفي أماكن محددة. . . . وننتهز هذه الفرصة لنفهمه معنى ضياع الأشياء وامكان ضياعها في الطريق العام الذي يرمي فيه الأشياء المختلفة. . . ولا مانع أن نجعله يجرب رمي شيء. . . وليكن لعبة مثلاً. . . تكون عزيزة عليه. . . ثم نحصل عليها ونخفيها عنه، ونشعره بأنها فقدت، ثم نعيدها له بعد ذلك ليدرك معنى فقدان الشيء. . . . كل هذا يجب أن يتم مع الطفل بروح

المحبة والمرونة والصبر مع عدم توبيخه أو استعمال العنف.

الحالـــة رقم (٥):

بنت في الثامنة كانت مخربة للغاية سواء في المدرسة أو في المنزل، ففي المدرسة تمزق كتب زميلاتها وأحياناً تمزق شنطهم .... كل هذا تعمله سراً.... وفي المنزل كانت تسكن مع جدتها وجدها في منزل مستقل له حديقة جميلة.... فكانت تنزل إلى الحديقة وتفتح صنابير المياه فتغرق الحديقة، كما كانت تقطع الأزهار قبل تمام تفتحها، وتتلف الزرع اتلافاً يؤلم الجد والجدة وخالها الذي يسكن معهم.... كانت تسبب لهم مشاكل كثيرة، البنت هي أكبر أخواتها (ثلاثة.. اثنان ذكور وبنت)، وقد عاشت مع جدها وجدتها وخالها منذ أن كان سنها سنة ونصف، وذلك لأنهم يشعرون بالوحدة ولحبهم للطفلة حباً جماً.. والطفلة على درجة كبيرة من الوسامة والجمال والصحة... وقد كانت البنت ولا تزال مدللة للغاية، وسلوك الطفلة في الواقع يحتمل أن يكون سببه لا شعورياً للانتقام من الجد والجدة لحرمانها من المعيشة في عائلتها، كما أن الطفلة تعاني من التوتر النفسي والعصبية لأنها تعيش عيشة غير طبيعية بعيدة عن والديها، وبعيدة

عن الجو الطبيعي للتنافس مع أخواتها.

وقد نصح الجد والجدة بأن يعيدا الطفلة لعائلتها، وذلك بأن تزورهم أولاً لفترات أطول مما اعتادت عليه... وهكذا تدريجياً إلى أن تألف المعيشة وسط والديها وأخوتها وبيئتها الطبيعية المنزلية... على أن يسمح لها بزيارة جدها وجدتها من وقت لآخر كلما أرادت ذلك... كما نصح الأبوين لمساعدتهما على التكيف للمعيشة الجديدة معها، وذلك بإحاطتها بالرعاية والعطف، ومعاملتها بشيء من المرونة والمحبة وعدم عقابها على اخطائها، بل محاولة تدريبها تدريباً جديداً على الحياة السوية.

* . * . *

نصائح للآباء

يجب أن يدرك الآباء أن أفدح المصاعب الانفعالية التي يعاني منها الطفل الناشيء والتي قد تبقى آثارها السيئة طول حياته إنما تنتج عن عدم شعوره بالأمن والطمأنينة، الأمر الذي يؤدي به إلى الشعور بعدم القبول أو بأنه منبوذ أو مكروه أو مهمل، مما قد يدفعه إلى الانتقام عن طريق التخريب.

لذلك كان العطف والحنان والدفء والمحبة واشباع الحاجات النفسية الضرورية للطفل من أولى واجبات الآباء والمربين في تربية الأطفال عامة، وفي علاج حالات الأطفال الذين قد يلجأون إلى التخريب أحياناً.

هذا كما يجب أن نفسح صدورنا لأبنائنا وأن ندعهم يعبرون عن ثورتهم على سلطة البالغين بطريقة تسمح باظهار غضبهم، بدلاً من كبته والتنفيس عن هذا الغضب بالتخريب في الخفاء، كما يجب أن نساعد الأطفال على التخلص من التوتر النفسي الذي قد يعانونه في بعض المواقف أولاً بأول بدلاً من كبته والتنفيس عنه في الخفاء بالسلوك غير السوي.

كما يجب أن نقلل على قدر الامكان من القيود التي تفرض على الأطفال سواء في المنزل أو في المدرسة، تلك القيود التي تتمثل أحياناً في المبالغة في كثرة الأوامر والنواهي التي تجعل الأطفال يشعرون بالضيق والملل، وليس معنى ذلك أبداً ترك الحبل على الغارب فخير الأمور الوسط، فالحزم مع المرونة والغفران والمحبة يحققان الغرض من التربية الاستقلالية السليمة.

إن التعسف مع الطفل وتعويده ألا يسلك إلا وفقاً لأوامر والديه أو أوامر البالغين تخلق منه طفلاً اعتمادياً،

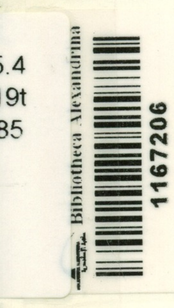
عديم الثقة في نفسه، يميل إلى الخضوع والاستسلام والطاعة العمياء التي تجعله يشب ضعيف الشخصية.

ومما يساعد كثيراً على علاج حالات التخريب عند الأطفال تشجيع الطفل المخرب على أن يظهر مزاياه، ونقاط القوة في مواهبه حتى يبدأ في استرداد ثقته في نفسه.

كما يجب مساعدته أيضاً بدفعه إلى الاختلاط والمشاركة مع الآخرين في أعمالهم وألعابهم وهواياتهم، ذلك لأن الأخذ والعطاء ينمي شخصيته الاجتماعية، ويساعده على التعبير عن مكنونات نفسه، ويبعده عن الشعور بالحرمان، والشعور بالعزلة الانفعالية، التي قد تكون المصدر الرئيسي لشعوره بالذنب، وشعوره بالاضطهاد وكلاهما يوتره نفسياً وجسمياً، وقد يدفعه التوتر إلى التخريب والانتقام.

إن تربية الأطفال علم وفن، وعلاج الأطفال المشكلين يحتاج لدرجة كبيرة، إلى ارشادات ومعونة المختص في سيكولوجية الطفولة والعلاج النفسي.

*. * . * . *


.4
19t
35
Bibliotheca Alexandrina
1167206